

ماذا يعني انتقال التواصل الاجتماعي إلى العالم الافتراضي؟

انفتاح أبواب الهجرة إلى مدن افتراضية أكثر إثارة من حياتنا الباردة



سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

لا يمثل كشف موقع فيسبوك الأسبوع الماضي عن شبكة اجتماعية جديدة قائمة على الواقع الافتراضي، مجرد خبر عابر، لأنها تشكل منعطفًا هامًا تمتد آثاره إلى جميع تفاصيل الحياة على هذا الكوكب، بل ستتوحد في نهاية الأمر إلى هجرات جماعية للعيش في العوالم الافتراضية. لا يمكن مقارنة موجة نزوح من هذا النوع، بما حدث في العقدين الماضيين مع شبكات التواصل الاجتماعي الحالية، التي غيرت طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعد أن استقطبت معظم سكان العالم. بطبيعة الحال، لن تحدث ثورة النزوح بين ليلة وضحاها، رغم أن حدوث قفزات تكنولوجية مفاجئة وكبيرة في قدرات النظارات والعوالم التي تبنيها، يمكن أن يقلب جميع التوقعات التي يمكن أن ننسجها حاليًا.

في العالم الافتراضي، لن يقف الأمر عند التواصل مع الأهل والأصدقاء. وفي المدين القريب والمتوسط سوف يتسابق كثيرون لخوض تجارب مع أصدقائنا، أكثر إثارة من حياتنا الواقعية، تشمل التجول في الغابات والبراري ومدن العالم بجميع التفاصيل كما لو كنا هناك دون مغادرة غرفة نومنا.

أما في المدى البعيد فسوف نهجر للعيش في مدن افتراضية لها قوانينها ووظائفها وأماكها وأموالها، بعد أن تتلاشى مظاهر الحياة في شوارع المدن وتزحف الأمتة على معظم أوارنا ووظائفنا الحالية.

قرب انقلاب حياتنا الواقعية رأسا على عقب

الكلية لمستخدمي أوكولوس كويست، التي أطلقتها في مايو الماضي، وأحدثت نقلة نوعية في عالم الواقع الافتراضي. ومن بين المزايا الجديدة أوكولوس لينك Oculus Link التي تسمح للمستخدمين بوصول النظارة بالكمبيوتر الشخصي للمتعة بالألعاب في منصة أوكولوس ريفت.

ولتسهيل مشاهدة الأفلام والعروض التلفزيونية عن طريق نظارة أوكولوس كويست، قالت فيسبوك إنه سيكون بإمكان المستخدمين إيقاف ميزة التعقب الخاصة بالنظارة بدويا من قائمة الإعدادات، وذلك بغية تمكينهم من استخدام النظارة في الغرف العمرة.

ومن أهم المزايا التي أعلنت عنها فيسبوك، إمكانية التحكم بنظارة الواقع الافتراضي أوكولوس كويست عن طريق اليد فقط، دون أذرع تحكم أو مستشعرات خارجية أو قفازات.

وقالت فيسبوك إن ميزة التحكم تلك سيتم إطلاقها في العام المقبل مع إطلاق شبكة هورايون. وسوف تعتمد النظارة حينها في فهم حركة إيماءات اليد على الكاميرات الخاصة بها، وعلى تقنية التعلم العميق، ثم نقل تلك الحركات إلى العالم الافتراضي.

ومهما كانت فوائد وإغراءات هذا العالم الجديد، فإنه سيخطف الكثير من التحديات الاجتماعية والاقتصادية، التي قد لا يستطيع الإنسان التأقلم معها، فتؤدي إلى هزات عنيفة للمجتمعات تؤثر على بقائنا، الذي لا مفر منه للرحيل إلى العالم الافتراضي.

وقد تؤدي لتقسيم البشرية بين مجتمع يعيش في العالم الافتراضي، وآخر يعيش في الهامش، وقد تظهر أيديولوجيات وعقائد تتناقض وتتصارع بسبب موقفها من ذلك العالم الافتراضي.



حان موعد الرحيل إلى عوالم جديدة

ستبدأ الدعايات الاجتماعية والاقتصادية بالزحف تدريجيا، حين تتزايد أعداد من يقضون أوقاتهم في عوالم افتراضية. وسيكون أولئك هم الرواد الأكثر نجاحا في تلك العوالم. ربما علينا الحذر من التأخر في الهجرة لأن أرضتنا ستكون صغيرة حين نصل متأخرين، فنكون في الهامش ولا نتمكن من منافسة الرواد الأوائل.

وكان مؤسس ورئيس الشركة مارك زوكربيرغ من أوائل المراهنين على العوالم الافتراضية وقد أكد مرارا أن "الواقع الافتراضي سيكون المنصة الأفضل والأنسب لتلبية رغبات الناس، لأنه يضعهم في المركز ويجعلهم يشعرون وكأنهم هناك فعلا مع غيرهم من الناس". وكان قد ذكر في العام الماضي أننا "سنعيش قريبا جدا في عالم يتمكن فيه الجميع من المعيشة المشتركة بمشاهد تشعرك وكأنك في قلب المشهد الحقيقي فعلا".

وأضاف "تخيلوا كيف سيتاح للجميع الجلوس مع أصدقائهم في أي وقت في البراري حول نار مخيم أو مشاهدة فيلم سينمائي من الواقع الافتراضي... تخيلوا كيف ستتمكن مجموعة من عقد اجتماع عمل في أي مكان في العالم دون مغادرة مكاتبها".

تعبيد طرق الهجرة

بالترزامن مع الإعلان عن شبكة هورايون، كشفت فيسبوك الأسبوع الماضي خلال مؤتمر مطوري الواقع الافتراضي، عن عدد من الخدمات التي تهدف إلى تعزيز قدرات نظارة الواقع الافتراضي أوكولوس كويست. وقالت إنها أجرت سلسلة من التحديثات البرمجية على النظارة لتحسين التجربة

الافتراضي والمعزز، ستكون ميدان القفزة الجديدة. وقد بنقلها ابتكار مفاجئ إلى مدار آخر يغير حياتنا بدرجة تفوق جميع ما حدث في تاريخ البشر بالألاف المرات.



مارك زوكربيرغ؛
الواقع الافتراضي سوف يصبح
المنصة الأفضل والأنسب لتلبية
رغبات الناس

وتشير محصلة آراء الخبراء إلى أن نظارات الواقع الافتراضي بدأت تتجاوز مرحلة كونها تقنية هامشية باهظة الثمن، وبدأت تنتشر كوسيلة ترفيه منافسة بعد أن دخل عليها العامل الاجتماعي، أي التعامل مع انفعالات بشر حقيقية.

وستتحالف العوالم الافتراضية مع انتشار الذكاء الاصطناعي والأتمتة في قتل الوظائف وإقصاء دور البشر في القطاعات الاقتصادية وتقوض قطاع السفر والسياحة ونشاط المتاجر والمقاهي والمطاعم ليصبح العالم الافتراضي هو المكان الأكثر إثارة من حياتنا الباردة.

الرواد والمتأخرون

في النصف الملائن من الكاس سنقول إن هذه التحولات ستكون مدمرة لحياتنا، لكن أجيالا جديدة ستجدها غاية في الفسولهم وتدفعهم لشراء أحدث طرازاتها. وهناك مؤشرات منذ سنوات على أن نظارات الواقع الافتراضي ستكون هناك قواعدهم وقانونهم وقيمهم الأخلاقية، لكنهم سيكونون أقدر على انتهاكها وارتكاب جرائم افتراضية كبيرة دون الكثير من الخوف والتردد.

سيكون هناك أشخاص ضعفاء في الواقع وربما جنبا عنهم جبابرة في ذلك العالم وأشخاص أقوياء يتعرضون للاضطهاد والسخرية والإساءة بسبب عدم قدرتهم على التأقلم والنجاح ضمن قوانين وقواعد المدن الافتراضية.

وبعد أن تسرق التكنولوجيا معظم الوظائف، سيدخل شخص عاطل عن العمل ويعيش في غرفة صغيرة، حياة كاملة ومثيرة في مدينة افتراضية. قد ينجح في امتلاك عمارات أو تسلق السلطة ليصبح عمدة المدينة أو رئيس شرطتها أو مجرما خارجا على سلطاتها وقوانينها الافتراضية.

ستكون حياتنا في تلك المدينة أكثر واقعية وتشويقا من حياتنا الفعلية. سنعيش حفلات بانخة "نشعر" جميع لذاتها بإثارة تفوق المتاح في حياتنا الفعلية التي تصبح باردة ومملة.

أوارنا في تلك المدن والعوالم الافتراضية ستكون مختلفة تماما عن أوارنا في الحياة الواقعية نفسها في دور هامشي في العوالم الافتراضية، وقد يصبح طفل صغير حاكما أو مجرما كبيرا هناك.

التعامل سيكون مع أشخاص حقيقيين بمشاعر حقيقية. سنكون المنافسة أشرس والمكافآت أكبر وكذلك العقوبات التي تصل إلى الطرد والإقصاء من تلك المدن. وقد يعيش البعض في أكثر من عالم افتراضي واحد.

لم يعد هذا الحديث من نسج الخيال العلمي منذ سنوات واتسعت أفاقه بعد الإعلان عن قرب إطلاق شبكة فيسبوك هورايون الافتراضية. ويمكن أن يتسارع إيقاع الرحيل إلى تلك العوالم في أي لحظة إذا ما تم الكشف عن قفزة تكنولوجية كبيرة تفتح أبواب الهجرة الجماعية.

ولم تعد الهواتف الذكية ترضي طموحات شركات التكنولوجيا لتحقيق الأرباح، وهي تتسابق الآن للبحث عن اختراق نوعي يلهب حماس المستهلكين، الذين لم تعد الإضافات الهامشية في الهواتف الذكية تغير فضولهم وتدفعهم لشراء أحدث طرازاتها. وهناك مؤشرات منذ سنوات على أن نظارات الواقع الافتراضي

Telepods، التي سوف تنقل المستخدمين من المساحات العامة إلى عوالم جديدة حافة بالمغامرة والاستكشاف. وأوضحت فيسبوك أنه سيكون بإمكان المستخدمين لاحقا بناء عوالم خاصة باستخدام أدوات بنائي العالم World Builder وهي مجموعة من أدوات الإنشاء السهلة الاستخدام التي لا تتطلب أي معرفة سابقة بالبرمجة.

وحاولت فيسبوك طمأنة القلقين من أفاق هذه العوالم بالقول إنها سوف توفر أدوات أمان وإرشادات للبشر أطلقت عليها سكان هورايون المحليون Horizon Locals من أجل حماية المستخدمين في هذا العالم الافتراضي.

وأعلنت أنها تعتزم في إطار استعداداتها لإطلاق شبكة فيسبوك هورايون العام المقبل، إغلاق خدمتي فيسبوك سبيسز Facebook Spaces وأوكولوس رومز Oculus Rooms في 25 أكتوبر الجاري.

ذكرت أن شبكة فيسبوك هورايون تمتاز بأنها توفر للمستخدمين إمكانية استكشاف أماكن جديدة وممارسة الألعاب وبناء المجتمعات، وحتى الدخول في تجارب شخصية جديدة. ويمكن للمخيلة أن تأخذ إعلان فيسبوك إلى منديات بعيدة من خلال عبارات مثل "بناء المجتمعات" و"تصميم الشخصيات التي تناسب المستخدمين" و"سكان هورايون المحليون" ونقل المستخدمين من المساحات العامة إلى العوالم الافتراضية.

هجرة جماعية

في مستقبل ليس بعيدا ستصبح حياة الكثير من البشر في العالم الافتراضي أهم بكثير من حياتهم الفعلية. ستكون لهم أدوار ووظائف وأماك في مدن افتراضية أكثر إثارة وحيوية من المدن الحقيقية، التي ستتوحد نشاطاتها التقليدية شيئا فشيئا.



علينا الحذر من التأخر
في الهجرة إلى المدن
الافتراضية لأن أرضتنا
ستكون صغيرة حين
نصل متأخرين، فنكون
في الهامش ولا نتمكن من
منافسة الرواد الأوائل